الفصل السابع

صُورَةُ البَيْتِ المُسْلِمِ

- صورة البيت المسلم :
  - البيت المسلم عش هادىء .
  - البيت المسلم نظيف .
  - البيت المسلم فسيح .
  - العمل يتوزع فى البيت بين الجميع .
  - البيت المسلم ورع .
  - البيت المسلم متواضع فى غير ذلة .
  - لا يُسمح فيه لتارك الصلاة بالإقامة .
  - المرأة المسلمة عفيفة القلب .
  - الاعتزاز بالنفس وبالدين وبمظاهر شخصية الأمة الإسلامية .
  - المسلمة فى بيتها .
- الدعوة إلى الاسلام :
  - بم تكون الدعوة .
  - سمت الداعى إلى الله ،

صورة البيت المسلم

البيت المسلم هو حلم البشرية . تتجلى ملامحه من خلال ما ذكرناه ..

فهو بيت يعرف الله ورسله ويحبهما . ومن يحب أحداً يذكره دائماً . ويروى عنه كل كلمة أو حركة أو عمل ، فقراءة القرآن ، ودراسة السنة والسيرة وتاريخ الحركات الإسلامية . ظاهرة ثقافية ، ومنطلق أيديولوجي للسلوك والتفكير فى الأسرة ذكوراً وإناثاً . ففى صحيح البخارى عن النبى ﷺ : « نِعْمَ النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » ، وفيه أيضاً : « قالت النساء للنبى ﷺ : غَلَبَنا عليكَ الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فواعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن » .

وقد كان بعض الصحابة يقرأون على « أم سعد بنت الربيع » فتُصَحِّح لهم أغلاطهم ، وتصدرت السيدة « أم الخير » الحجازية حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص فى القرن الرابع الهجرى وحتى عام ٤١٥ هـ .

وأكثر من هذا أن « شريك الدوسية » كانت تأتى متسللة إلى مكة لتمارس الدعوة إلى الإسلام بين صفوف نساء قريش سراً ، حتى ظهر أمرها بمكة ، فقبض عليها وسُيِّرَت إلى أهلها (١) .

والاحتكام إلى الله ورسوله عند كل خلاف أمر متفق عليه . يخضع له الزوجان كما يخضع له الحاكم والمحكوم على السواء : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (٢) .

والأصل فى المسلمة أنها على وعى بالإسلام يؤهلها للمشاركة فى الرد إلى الله ورسوله . قال كعب : نازعتُ عمر بن الخطاب فى « المتوفى عنها زوجُها

(١) شهيد المحراب لعمر التلمسانى ص ١٨٦ . (٢) النساء : ٥٩

وهى حامل » فقلت : تتزوج إذا وضعت ولم يمض عليها أربعة أشهر وعشر فقالت أم الطفل : « قد أمر رسول الله ﷺ سبيعة الأسلمية أن تُنكح إذا وضعت » (١) .

وعلى قاعدة الالتزام بوصايا الرسول ﷺ وأوامر الله تعالى تقوم تربية الأسرة ، وفى سلوك الصالحين نماذج تُحكى وتُحاكى ، وفى الحديث : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ونتيجة لهذا الاتجاه . لا يجوز أن يخلو البيت من مكتبة إسلامية بها مصحف وشروح له وسيرة النبى ﷺ وأحاديثه ، وأحكام الفقه الإسلامى ، وتاريخ الإسلام وآدابه ، وهى مكتبة ليست مهجورة ، ولكن كتبها دائماً فى متناول الأيدى .

فيه إدارة منظمة قاعدتها : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (٢) .

وما دامت القَوامة للرجل فلا يحل للزوجة أن تخرج من البيت إلا بإذنه .

وقد تَحَرَّجت سيدة من الذهاب إلى أبيها وهو يحتضر ، لغياب زوجها والعجز عن استئذانه ، فقال الرسول ﷺ : « لقد غفر الله لأبيكِ بما صنعتِ » .

* * *

• والبيت المسلم عش هادىء :

﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٣) ، حتى فى مرحه لا يُسرف فى الضحك ، وكان رسولَ الله ﷺ يبتسم فى معظم الأحيان عندما يفرح ، وحيناً يضحك حتى تبدو نواجذه - أى أقوى الأضراس .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ ألين الناس وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً » .

---

(١) شهيد المحراب ص ١٨٦ .
(٢) النساء : ٣٤
(٣) لقمان : ١٩

فيه مرح ودُعابة ، يستعلى بالصبر والرضا بكل ما قضاه الله وقدَّره ، ولهذا لا تجد فيه وجهاً عابساً ، وشعاره فى البيت والعمل : « وأن تَلقى أخاك بوجه طَلقٍ صدَقةٌ » .

وإن تعليق الابتسامة يحل مشكلات كثيرة وبخاصة فى المواقف العصيبة وينعكس أثرها على نفس المبتسم فيتزن تفكيره ، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وفى الفكاهات الأدبية وأساليب التورية غَنَاء كثير .

وفى البيت من وسائل اللَّهو واللَّعب ما يبنى الجسم ، ككرة القدم وبندقية الصيد . وليس فيه النرد والورق وما يُستعمل عادة فى القمار ، وفى الحديث الشريف : « كل شىء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون من أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين غَرَضَيْنِ [1] ، وتعليم السباحة » (أخرجه النسائى عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير) .

والمسلمات راضيات بكل ما شَرَعَ الله حتى تعدد الزوجات ، ولهذا كان نساء النبى ﷺ يجتمعن معاً كل ليلة فى البيت الذى سيبيت فيه الرسول ﷺ ، وأحياناً يتناولن العشاء مع رسول الله ﷺ ، ويَسْمُرْن بعض الوقت ثم تنصرف كل منهن إلى بيتها [2] ، وكانت كل البيوت عبارة عن حجرات متلاصقة .

والنكتة البذيئة والتى فيها سخرية بالمنتسبين إلى الإسلام ودعوته .. بعيدة عن فم المسلم والمسلمة ، فتجربحهم صيحة بفشل الإسلام فى تقويم المسلمين . وفقدان صلاحيته للحياة . وهكذا العبارات الجارحة أو غير العفيفة لا تُسمع فى بيت مسلم .

والبيت المسلم بسيط فى كل أموره . وفى تفكير أبنائه ، وفى تدبير اقتصادياته ، وفى التعبد والذكر ، وقد رُوِىَ عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : « ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما » .

---

(١) الغرضين : علامة بدء الجرى ونهايته فى السباق ، انظر : كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) شهيد المحراب ص ١٦٩ .

وليس معنى البساطة رفض ما أنعم الله به على عباده من آلاء . ولكن أخذها ببساطة بمعنى ألا تُدخل على النفس الخيلاء . بل تهبط بها النعمة إلى الانكسار لله المنعم ، والتزلف إليه شكراً ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١) .

والفراش إذا كان من حرير دودة القز . والآنية التى من الذهب أو الفضة .. إسراف ومنكر فى البيت المسلم .

وفى صحيح البخارى عن حُذيفة بن اليمان قال : « نهانا النبى ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج (٢) وأن نجلس عليه » ولم يمنع الإسلام التطريز اليسير بالحرير ، ففى صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا .. وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام - يعنى نحو ٣ سم عرضاً .

وتختار المسلمة من حليها الذهبى ما ليس دائرياً ولا حلقات ، فقد رُوِىَ نهىٌ عما كان من الحُلَى مُحَلَّقاً .. ولكن هل النهى من باب التحريم أو التنزيه ؟ خلاف بين الباحثين فقيل : حرام - وهو قول رجع عنه صاحبه - وقيل : مكروه . وفى تعدد أشكال المصوغات متسع للاختيار . ولا حَرَجَ على من كانت ميزانيتها لا تسمح إلا بحُلَى دائرى مغلق لأنها لا تجد غيره رخيصاً حتى يُغنيها الله وتستبدل به ما يوافق السنة ، والأعمال بالنيات . وعلى الصُّيَّاغ المسلمين أن يبتكروا حُلِيّاً تتفق صورها مع السنة حتى لا تضطر المسلمة لشراء المكروه الذى صممه اليهود .

وتُخرج المسلمة زكاة حُلِيها إن بلغ نصاباً فكان وزنه عشرين مثقالاً ذهباً - أى ٨٥ جراماً = ٤/٧ ٢٨ درهما من الذهب تقريباً ، أو مائتى درهم فضة ، وذلك لأحاديث وردت فى ذلك ..

وهل هذا على سبيل الوجوب ؟ . للعلماء بحوث فى هـذا ولم يتفقوا : أن

---

(١) سبأ : ١٣

(٢) الديباج : ثوب سداه ولحمته من الإبريسم (حرير دودة القز) .

يكون الحض على زكاة الحُلَى للوجوب أم للندب ؟ قال بالوجوب أبو حنيفة وابن حزم ، وجمهور المذاهب على أن الحض للندب . ولكنها إذا كانت تَدَّخِر هذا الحُلَى ، لا لمجرد الزينة ، ولكن للانتفاع بثمنه عند الحاجة ، فقد انتقل من صورته - كحَلَى إلى صورة أخرى وهى الادخار - لأحد النقدين (الذهب والفضة) .

وقد رُوِىَ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « أتت النبى ﷺ امرأتان فى أيديهما أساور من ذهب ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أتحبان أن يُسَوِّركما الله يوم القيامة أساور من نار ؟ قالتا : لا . قال : فأديا حق هذا الذى فى أيديكما » .

وقيمة ما تُخْرِجه المرأة أو الرجل زكاة للذهب أو الفضة ٢ر٥ ٪ مما بلغ النصاب . والنِصاب هو الحد الأدنى الذى تجب فيه الزكاة . وتُخْرِج من مدخرات النقود إذا مضى عليها عام هجرى ما يعادل فى الثمن أو الوزن ما ذكرناه من نصاب الذهب أو ألفضة [1] .

والواجب الآن هو تقدير الذهب والفضه بثمن السوق الرسمى الذى تنشره الصحف . ويُقدَّر النصاب من النقود الآن بنحو ٨٠ جنيهاً مصرياً . باعتبار سعر جرام الفضة ٢٤ قرشاً ، ولم نلتفت إلى عملة الذهب مراعاة لمصلحة الفقير ، فقد أصبح [2] سعر الجنيه الذهب ١١ر٣٠٠ - قرشاً فيكون النصاب ٨٧٥ر١٣٤١ جنيه ، أو (٥١٠٠ درهم عربى) على أساس الغطاء الذهبى .. وفى هذا

(١) أفتى فضيلة المفتى - بتاريخ ١٣/٥/١٩٧٩ بما فحواه : « نصاب زكاة المال ٢٠ مثقالاً من الذهب - وزنها الآن ٨٥ جراماً تقريباً - متى حال عليه الحَوَل ، ومقدارها ربع العشر (٢ر٥ ٪) ، وأن يقوِّم المال بالذهب الخالص (عيار ٢٣ر٥) بسعر السوق يوم إخراج الزكاة ، والعبرة فى توافر النصاب بيوم الإخراج فلا يشترط توافره طول العام . (الفتاوى الإسلامية - م ٨ - العدد ٢٣ - ص ٢٨٢٢ - سنة ١٩٨٢) .

(٢) فى ٢٥ يناير سنة ١٩٨١ ، أما ما جاء فى كتب الفقه السابقة - على التاريخ الذى ذكرناه - فأصبح لا يتمشى مع الأسعار الحالية .

إجحاف بحقوق الفقراء ويناقض الورع . ويُعفى من الزكاة ما يُدبِّر لتكاليف الزواج ، ولا تُخصم الضرائب من الزكاة .

ويُدرب الأطفال على الصدقة . ويضع البيت للصدقات شيئاً من ميزانيته حين لا تجب عليه زكاة حتى ينشأ الأطفال على ذلك .

بل من لم يكن فى مرتبه فائض عن حاجته يعمل عملاً ، مهما قلّ ليُقَدِّم منه فى وجوه البر شيئاً ، سواء أكان رجلاً أم أنثى . ففى صحيح البخارى عن أبى مسعود الأنصارى : « كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل (يعمل حمالاً - أى شيالاً) فيصيب المُدّ (مقابل أجرته) فيتصدق به ، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف » أى وما يتصدق .

وليس المهم أن تكون الصدقة عظيمة . وإنما على كل امرىء ما يستطيعه . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بِعِدْلِ تمرة [1] من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ [2] - أو فصيله [3] - حتى تكون مثل الجبل » .

وإذا كان الزوج فقيراً ولزوجته ثراء من ميراث أو عمل تعمله أو من هدايا أسرتها فإن من أفضل الصدقات ما تعطيه لزوجها فى غير صورة محرجة ، ففى الصحيحين عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدَّقْنَ يا معشر النساء ولو من حُلِيِّكُن » ، قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد (يعنى قليل المال) وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله ، فإن كان ذلك يجزى عنى ؟ [4] وإلا صرفتها إلى غيركم . فقال عبد الله : بل إئتيه أنتِ .

---

(١) عدل الشىء - بكسر العين - : مثله . (٢) المهر من الخيل .
(٣) الفصيل : ولد الناقة .
(٤) أى إن كان دفع زكاتى إليك يصح ، دفعتها إليك .

فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ وكان قد ألقيت عليه المهابة ، فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزى الصدقة منهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله ، فقال رسول الله ﷺ : « من هما » ؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله ﷺ : « أى الزيانب هى » ؟ قال : امرأة عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « لهما أجران ، أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

* * *

• والبيت المسلم نظيف :

تام التهوية ، خال من القمامة . كما فى الحديث : « لا تتشبهوا باليهود . كانوا يضعون الأكب (القمامة) فى أفنية بيوتهم » .

ومقاومة الحشرات المؤذية كالصراصير وغيرها ، وكل ما يبذل فى سبيل ذلك من جهد بدنى أو مالى ، فيه مثوبة من الله ، فضلاً عما فى هذا من تجميل البيت وتنظيفه ، ففى الصحيحين عن أم شريك رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل وزغاً فى أول ضربة كُتِبَ له مائة حسنة ، وفى الثانية دون ذلك . وفى الثالثة دون ذلك » . قال أهل اللُّغة : الوَزَغ : العظام من « سام أبرص » ، وسام أبرص : اسم للوزغة مُركَّب من كلمتين .

ومعنى هذا أن المجتمع كله - وفى مقدمته مجتمع الأسرة - مجند لمقاومة الحشرات الضارة . ويجب أن يُتدرب على ذلك . ففى العصر الأول كان التدريب يدوياً بحتاً ، وفى عصرنا هذا تُقاوَم بالمبيدات الحشرية ، أو مصايد الفئران .

وفى الحض على أن تكون الإصابة للحشرة من مرة واحدة تدريب ذاتى على كسب صفتى اليقظة والتوازن اللازمتين لإصابة هدف ما ، وما أحوج الشخص

المثالى لهاتين الصفتين اللّتين تشترك فى تنميتهما بالمسلم والمسلمة معظم شرائع الإسلام .

ولكيلا تتكاثر الحشرات الضارة نهى النبى ﷺ عن ترك ما يسقط من الطعام على الأرض عند تناوله ، وعن ترك بقايا فى الطبق دون أن تُؤكل أو تُغسل فوراً حتى لا تكون هناك أسباب مساعدة لتكاثر الحشرات وتغذيتها ، ففى صحيح مسلم عن أنس رضى اللّه عنه قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليُمطْ عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان » ، وأمرنا أن نُسْلِت القصعة وقال : « إنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة » .

ولا شك أن لعق الأصابع الثلاثة يعنى التخلص من جُرم الطعام والدهنيات واللّزوجة التى لو لم يُتخلص منها للُوثت أصابعه الثياب وكل ما تمتد إليه يد الآكل من الناس والأشياء . فلما وُجِدَت الملاعق وكثرت المياه وجب أيضاً أن يتناول الآكل بملعقته القدر الذى يستطيع أن يبتلعه ، حتى إذا انتهى لم يترك على ملعقته شيئاً للصراصير وما أشبهها ، أو شيئاً يؤكسد الملعقة ويعرضها للصدأ السريع .

فالمسلم رقيق المشاعر ذو قلب يتحرك بالشفقة على من سيحمل ما على المأدبة ويغسل الآنية .

أما الأمر بمسح القصعة فمثله الحديث الواهى : « الإناء يستغفر للاعقه » والفرق واضح فى النصين بين اللعق وبين مسح القصعة الذى فى الحديث الصحيح .

* * *

• والبيت المسلم فسيح :

ففى دعاء النبى ﷺ : « اللّهم وَسِّعْ لى فى دارى وبارك لى فى رزقى » ،

وفى صحيح ابن حبّان عن سعد بن أبى وقّاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنىء . وأربع من الشقاء : الجار السوء ، والمرأة السوء ، والمركب السوء ، والمسكن الضيق » وروى أحمد والحاكم مثله .

وفى الإسلام لكل طفل فراشه الخاص . فقد أمرنا النبى ﷺ أن نُفَرِّق بين أولادنا فى المضاجع فقال ﷺ : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع » (رواه أبو داوود) .

* * *

• والعمل يتوزع فى البيت بين الجميع :

ومن أجمل ما رُوِىَ فى هذا الشأن عن علىّ رضى الله عنه أنه كان يُقَسِّم عمل البيت بين أمه وزوجته ، فيقول لأمه « فاطمة بنت أسد » : إكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب فى الحاجة ، وتكفيك الداخل : « الطحين والعجين » .. ولا يزال هذا التنظيم فى الصعيد الأعلى بين البيوت المحافظة . فعلى الشابات ما كان من الأعمال داخل البيت ، أما التسويق والاتصال بخارج البيت فلكبيرات السن . وهذا أصون للعفاف .

وكل من فى البيت يعمل مهما كانت منزلته الاجتماعية : فعن عبد الله القرشى قال : دخلت على « هند بنت المهلب بن أبى صفرة » ، وهى امرأة الحجاج ، وبيدها مِغزل تغزل به فقلت لها : تغزلين وأنت امرأة أمير ؟ فقالت : إن أبى يُحَدِّث عن جدى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أطولكن طاقاً أعظمكن أجراً » ، والطاق : ضرب من الثياب التى تُنسج بعد الغزل .

وفى الحديث الآخر : « ونِعْمَ لَهْو المؤمنة فى بيتها : المِغزل » [1] .

* * *

(١) شهيد المحراب ص ١٨١ .

• البيت المسلم ورع :

يخشى أبناؤه الحرام كما يخشون الثعبان الهائج ، والمسلمة تُوصى زوجها دائماً ألا يجعل فى كسبه لها ولأولادها خردلة من الحرام ، حتى ولو باتوا على الطوى ، فهى من أجل هذا لا تُرهقه بمطالب العصر التى لا قِبَلَ لراتبه أو مجال كسبه بتوفيرها . صابرة قانعة بما رزقه الله .

وقد رُوِىَ عن أخت « بشر الحافى » أنها سألت الإمام أحمد بن حنبل قائلة : « إننا نغزل على سطوحنا فيمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع علينا شُعاعها ، أيجوز لنا أن نغزل فى شعاعها ؟ . فقال : من أنت عافاك الله ؟ ! فقالت : أخت الحافى . فبكى رحمه الله وقال : « من بيتكم يخرج الورع الصادق . لا تغزلى فى شُعاعها » .

إنه الحس الدينى الصادق . واليقين بيوم الجزاء .. والالتزام بما راوه البخارى فى صحيحه عن النعمان بن بشير (أول مولود وُلِدَ للأنصار بعد الهجرة) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّن ، وبينهما متشابهات لا يعملها كثير من الناس ، فمن اتقى الشُبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه . ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحِمَى يوشك أن يواقعه . ألا وإن لكل ملك حِمى . ألا وإن حِمَى الله فى أرضه محارمه . ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » .

* * *

• والبيت المسلم متواضع فى غير ذلة :

﴿ أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ (١) . ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) المائدة : ٥٤ (٢) الشعراء : ٢١٥

لا يعرف الخيلاء والكبر : ﴿ إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١) .
ولا تستقبح المسلمة أن تحمل بيدها متاعها وتعود بطعامها تحمله بنفسها من السوق إن قدرت على هذا ، لأن النبى ﷺ يقول : « صاحب الشىء أحق بحمله » .

* * *

• لا يُسمح فيه لتارك الصلاة بالإقامة :

إلا الحائض والنفساء ، ويُضرب الطفل تأديباً له على تركه الصلاة ، كما يُضرب على تركه واجبه المدرسى : « مروهم بها لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » ، والطفل الذى ينشأ فيجد كل مَنْ بالبيت يُصلى سيعتاد الصلاة ما لم تتخطفه بيئة الشارع العفنة .. ولهذا فإن المجتمع المسلم لا يسمح - حين يُوجد إن شاء اللّه - بترك إنسان لا يُصلى دون أن يوقع عليه أشد العقوبات ، وهى الإعدام إن استتيب ثلاثاً فلم يتب ، وقد كانت المجتمعات الإسلامية - فى القديم - لا تسمح لتارك الصلاة أن يعيش بينها لأنه مثار لعنة اللّه عليه وعلى مَنْ معه ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ (٢) . ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ ﴾ (٣) .

أليس من أفجر الفجور أنه عندما تُوَجه إلينا الدعوة للقاء عظيم كملك أو إمبراطور نسارع إلى لقائه قبل الموعد المحدد للمقابلة فى أبهى زينتنا . واللّه قد حدَّد لنا مواعيد لقائه وأذَّن المؤذن للتنبيه على أن اللّه فى انتظارنا ثم نرفض نحن المقابلة لملك الملوك ذى الجلال والإكرام ؟ ! .

إن كلمة « سوء أدب » منا ، وكلمة « أفجر الفجور » أقل دلالة على وصف تارك الصلاة يسمع أو يعرف أن اللّه يناديه فلا يذهب إليه . ألا وإن حلم اللّه على هؤلاء التاركين للصلاة لأعظم من أن يمكن تصويره .

---

(١) لقمان : ١٨
(٢) النساء : ١٠٣
(٣) طه : ٣١

وللصلاة أحكامها السهلة التى لا بد للمسلمة من التعرف عليها فى كتب مثل « العبادات فى الإسلام » للدكتور محمد محمد إسماعيل عبده . أو « فقه السنة » للشيخ سيد سابق . وما أجمل أختاً كانت تلبس ملابس صلاتها وتأخذ زينتها وكأنها ذاهبة إلى حفل وتقول لى : ألست تقرأ فى القرآن : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (١) .

إن الأمة المتزنة الرشيدة ذات الخُلُق الرفيع تلك التى تتحدث عنها الأمم معجبة ، لا يتم لها ذلك إلا أن يكون أفرادها على مستوى رفيع من الفضيلة والاتزان والرشاد ، وعملية الصلاة فى اليوم خمس مرات عملية مراجعة فردية لأعمال المصلى صالحها وطالحها ، يستغفر الله فيها من الخطأ والمعاصى فيقلع عما هو فيه من خطأ . وبهذا يتخلص المجتمع من المفاسد الخُلُقية ذاتياً ، دون حاجة إلى سلطان شرطة الآداب ، أو يحمد الله ويستزيده من التوفيق فى عمله الصالح المُجدى لأمته وأسرته أو لشخصه .

ومقياس الرجل النظيف أو المرأة النظيفة خُلُقياً وقلبياً . هو الصلاة . فغير نظيفٍ من ترك الصلاة أو تركت الصلاة . فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول ذلك يبقى من درنه (٢) شيئاً . قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا » .

* * *

• المرأة المسلمة عفيفة القلب :

فهى لا تطمع فى أن ينظر إليها أحد ، سواء أكان صالحاً أو طالحاً . بل تكره أن يتطلع إليها الرجال كما قالت فاطمة رضى الله عنها لأبيها محمد عليه

---

(١) الأعراف : ٣١ (٢) الدرن : الوسخ .

الصلاة والسلام حين سألها : أى شىء أحب إلى المرأة ؟ فقالت : « ألاَّ ترى رجلاً ولا يراها رجل » فضمها إلى صدره مسروراً وقرأ قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقد وصف البخارى صورة المسلمة تحترس من رؤية الناس لها فى طريقها - من وإلى المسجد - فرُوِىَ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لقد كان رسول الله ﷺ يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن (٢) ،ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد » .

وقد رُوِىَ أن سبب العجز عن معرفتهن هو الظلمة ، فإن خروج النساء لصلاة الجماعة بالمسجد لم يكن فى صلاة سرية ، بل كان من أجل سماع القرآن ، وهذا لا ينفى أن يكون مع ستار الظلمة ستار المرأة فى عدم تعريض المرأة وجهها - مليحاً أو قبيحاً - للجماهير . وذلك مستوى رفيع من الإدراك للفضيلة ، فلئن أبيح رؤية الوجه والكفين من المرأة فذلك لضرورة الأعمال فى الحياة ، فإذا رآها المرء لغرض الاستمتاع بالجمال .. أو كشفتهما المرأة لتمتع بهما الناظرين فقد أثم كلاهما .. فأول الزنا نظرة خبيثة أو عَرْضٍ خبيث للخد الأسيل ، وكما فى الحديث القدسى : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتى أبدلته بها إيماناً يجد حلاوته فى قلبه » وفى الآثار : « النظرة بريد الزنا » .

وقد أوصد الإسلام الذريعة إلى الزنا وانتشار الانحلال ، وذلك بتحريم التبرج وهو كشف المرأة عن مفاتنها ، واستثارة الرجل بحديث متكسر ، أو نظرة خائنة ، أو حركة مثيرة ، أو ثياب داعية إلى التفكير فى خيانة الشرف ، كالثياب الكاسية العارية ، أى الشفافة أو التى تكسو الجسم ولكنها تُجَسِّم كل أعضائه حتى لكأن المرأة عارية .

---

(١) آل عمران : ٣٤

(٢) المرط الملحفة أو الإزار أو الثوب الأخضر وهو ثوب كالشال الكبير يغطى الرأس والجسم .

وفى الحديث الشريف : « سيكون فى آخر أُمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال - كأنه يشير إلى السيارات - ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، على رؤسهن كأسنمة البخت العِجَاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات » (١) .

والحق أن التبرج عندما حرُمه الإسلام أنقذ بتحريمه المجتمع من الدعارة والتهيج الجنسى والمأساة العالمية ، ومن الخلل فى السياسة الاقتصادية والعسكرية والقومية للأُمة .

إن التهيج الجنسى يشل الفكر الرفيع والمنتج شَلَلاً كُلياً أو جزئياً حال التهيج وبعده مدة تطول أو تقصر - حسب قرب المُثير أو بُعده - وحسب ضعف الشخص وضواغط الحياة ، فالقطار يزدحم بالركاب من الجنسين وتتلاصق أجساد ، وتتقارب أنفاس كان يجب تباعدها ، تلتقى العيون الخائنة بالعيون النُجْل فتهيج الغرائز ، حتى إذا ما بلغ كلٌ عمله بدأه مشتت الذهن فقد ترك شطر عقله بالقطار . إن الهدوء العاطفى الذى كان يتطلبه العمل ليُلقى المدرس درسه بين طلابه بعد استجماع المادة العلمية فى ذهنه ، أو ليستجمع الطالب أعصابه وذاكرته ، أو ليرسم الموظف خطته لإنجاز عمله قد انتهى . هذه ظاهرة ترينا أثر التهيج على طبيعة الإنتاج .

وفى صحيفة أسبوعية كبرى من صحف البورجوازيين السابقين خرج مديرها وصاحبها إلى دورة المياه الأنيقة ليجد فتاة وزميلها فى موقف غير شريف . فقال : « رجائى ألاَّ يكون هذا على حساب العمل » .

وهو رجاء لا يمكن تحقيقه ، لأن الثورة - عندما تنشب - لا بد أن تندلع تُقيم الساكن أو تُقعده . ويستحيل تسكين الثائر بهوادة حتى يشبع جانباً من رغباته كثر أو قلَّ .

---

(١) أخرجه أحمد جـ ٢ ص ٢٢٣ ، والطبرانى فى الصغير ص ٢٣٢ ، وصححه الحاكم جـ ٤ ص ٤٣٦ .

ولقد كان منطقياً جداً وقانوناً عملياً تحريم الاختلاط والتبرج . وقد لوحظ فشل كثير من الطُلاَّب والطالبات نتيجة ما لديهم من مُثيرات .. ولوحظ أن المُتفوقّين فى الجامعة غالباً ما يكونون من الريف الذى لا تَبَرُّجَ فيه ، أو من الشباب المتدين ، وأحياناً من المتزوجات بالرغم من أعباء أولادهن . ولذا أخذ رئيس وزراء إنجلترا الآن يدعو إلى الفصل بين الجنسين فى كل مراحل التعليم .

وفى المدن الكبرى بأمريكا مثل نيويورك قامت منظمات نسائية لليهود عملت على الفصل بين الرجال والنساء فى الأحفال والأماكن العامة . ورفضت فتاة يهودية مصافحة صديق أخيها قائلة : الدين يُحرِّم أن تمس يدها يد أجنبى [1] . هذا هو منطق العلم والتدين فى الغرب ، ولم يهاجم هذا أحد هناك .. وفقط يهاجمه اليساريون بمصر [1] .

وإن التهيج الجنسى أوجد تنظيم الدعارة ، ومنها انتشرت الأمراض السرية المعدية التى جعلت الجيش الفرنسى مثلاً يتخفف من الشروط الصحية اللازمة لقبول الشباب فى الجندية . والتساهل فى شروط اللِّياقة العسكرية كل بضع سنوات - بِتْرك شرط وراء شرط - مظهر دال على ما أصاب الشباب - درع الأمة الواقى - من الضعف . بل إن الجيش ليدفع فى علاج الجند من الأمراض السرية مبالغ هو فى حاجة إليها .

وقد أُصيب بهذه الأمراض ٩ ٪ من الشعب الأمريكى .

وما دامت الإثارة عامة فى كل مكان ، بالشارع والمدرسة ، فقد أصبح البحث عن الإشباع فى كل مكان ، وفى المدارس التى يكون طُلاَّبها من نوع واحد ، أصبح سبيل الإشباع اللِّواط أو جَلْدَ عَمَيْرَةَ (العادة السرية) بين الذكور . أو السِحاق بين الفتيات ، مما كانت نتيجته اعتياد الإشباع بهذه الوسيلة وكراهية الوسيلة الطبيعية .

---

(١) مجلة آخر ساعة : عدد ٢٥ فبراير ١٩٧٨ .

وقد نشأ عن هذا الشذوذ انصراف عن الزواج . أو مآسٍ بين المتزوجين الذين يُفَضِّلون الإشباع بغير الطريقة التى يُتيحها النكاح .

ونتيجة الإضراب عن الزواج ، ظهرت فاشية المخادنة والاكتفاء بها عن الزواج ، وحتى لا يكون ولد يرهق الأخدان كانت أقراص منع الحمل . والأسباب المتعددة للوقاية منه ، والمصير النهائى هو قلة تعداد أبنـاء الدولة وبخاصة الوطنيين منها . بينما يحاول المهاجرون الذين يريدون اقتناص الفرصة أن يتكاثروا ليرثوا الأرض ومن عليها .. وفى هذا دمار قومى واقتصادى وعسكرى وسياسى وتعليمى . إن التبرج خيانة وطنية ، لأنه وسيلة من وسائل التخريب للعواطف والتفكير والإنتاج . وسيلة لتخريب الأسرة والمجتمع والقوة العسكرية .. فضلاً عن تخريب الأخلاق والأعصاب .

⁂ ⁂ ⁂

• والاعتزاز بالنفس والدين وبنى الملة صفة « لكل مسلم ومسلمة » :

فالتى تحتقر أُنوثتها كالذى يحتقر رجولته ، لا يعرفان معنى الاعزاز بالنفس ، فالشعور بالسقوط يصحبه فقدان الثقة بالنفس ، وهو خُلُق حينما يدبُّ فى أمة فكَبِّرْ عليها أربعاً لأنها فى طريقها إلى الفناء . ولذلك روى البخارى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال : « لعن النبى ﷺ المُخَنثين من الرجال والمُترجلات من النساء . وقال : أخرجوهم من بيوتكم قال : فأخرج النبى ﷺ فلاناً وأخرج عمر فلاناً » . والتى أخرجها النبى ونفاها عن المدينة هى « بادية بنت غيلان » كما نفى عليه الصلاة والسلام « أنجشة » العبد الأسود الذى كان يتشبه بالنساء .والذى نفاه عمر هو ماتع - أو مانع - وقيل : هرم .

ثم إن التى تترجل تفقد أُنوثتها التى يطلبها الرجل ، ولن تبلغ أن تكون رجلاً . والذى يتخنث يفقد رجولته التى تطلبها المرأة ، ويرفض النساء أن يكون فى عِدادهن .. وبهذا يُضَيِّع المخنثون والمترجلات أنفسهم فى المجتمع ..

ويُبَدِّدون طاقات مخالطيهم فى القيل والقال . ويشغلونهم عما هو أجدى من القيل والقال .

وعدّ الفقهاء منَ التخنث أن يجعل الرجل طيبه فى وجهه كالنساء ، ومنَ الترجل أن تجعل المرأة طيبها فى رأسها كالرجال .

ومن الاعتزاز بالملّة - أو القومية بلُغة العصر - التخلص من التقاليد الأجنبية فى الأزياء والحلاقة ، حتى نشعر بذاتيتنا ، وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « خالفوا المشركين ، وفرُّوا [1] اللِّحَىَ وأحفوا الشوارب » . وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال النبى ﷺ : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » .

وكذلك الحض على صبغ اللّحية وتغيير الشيب بلون الحنّاء - لا بالسواد - هو السُّنة ، أما الصبغ بالسواد - وأول من صنعه جد النبى عبد المطلب - فنهى عنه النبى ﷺ إلا فى مواقف الجهاد التى يُستحسن فيها ألاّ يرى العدو فى جنودنا ضعف الشيخوخة [2] .

وكان اليهود كذلك يحلقون شعرهم فيجعلونه فى الرأس كالقَزَع - وهو قِطع السحاب المتفرقة فى السماء - فنهى عنه النبى ﷺ . وروى البخارى عن ابن عمر قال : سمعت رسول اللّه ﷺ « نهى عن القَزَع » . أى حَلْق الرأس وتَرْك بعض الشعر متفرقاً غير محلوق .

ولما كانت التماثيل وصور الحيوان والآدميين ظاهرة متفشية فى الوثنيين الذين يُصَوِّرون أو ينحتون آلهة الحب . أو العذراء أو المسيح . أو البقرة المقدسة . أو الثعبان المقدس . أو الميكادو ... وهَلُمَ جَراً . ولما كان فى المُصَوِّرين من يقع فى روعهم أنهم - فى إبداعهم - يضاهئون خلق اللّه فى الجمال ، أو فى

(١) وفروا : بمعنى اتركوا ، واللّحية : اسم الشعر النابت على العارضين والذقن .
(٢) ولا إثم فى خضاب المرأة بالسواد إن لم تظهره للأجانب أو تخدع خاطباً .

النَسميَّة [1] التى تمسُّ الصورة .. فإن الإسلام حرَّم التصوير والنحت لكل ما دَبَّتْ فيه الروح ، فحركته . حماية للبشرية من الشرك الخفى .

روى البخارى عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن الذين يصنعون هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحْيوا ما خلقتم » .

لقد سَدَّ الإسلام الذريعة وحمى شخصية الأمة الإسلامية من الذوبان فى غيرها حين حرَّم هذا ، وأتاح لنا فرصاً كثيرة فى ابتكار نواحى الجمال ، فظهر الفن العربى والرسم الزخرفى ، والخط الكوفى والفارسى ، والطُّرر [2] ، وتصوير الطبيعة . وبدائع الإنسان من قصور وأثاث .

وأمام الفن الإسلامى اتجهت أنظار الغرب والشرق يتعلمون مشدوهين . وقد أُبيح التصوير اللازم للتعليم والأمن . وهو لا يأخذ الاتجاه الجمالى قصداً .

إن صورة الزفاف التى تُعلق فى البيت تسجيلٌ للحظة إنحلال من عروة الإسلام حين التقط المصور الأجنبى هذه الصورة فى ألعن صور التبرج الآثم المُستَعلن بين جمهور المتفرجين . وهي لون من عبادة الذات . ولو كان لدى العروس حس دينى مرهف لخجل من اللّه واستغفر من خطيئته .. وتخلص من آثار جريمته ، ولجعلها فى غرفته الخاصة « مبكى » يبكى عندها كلما رآها وسأل نفسه : ما الذى جعلك تُفَرِّط فى عِرضك حتى رآه من لا يحل له أن يراه ؟ .

وكأنى برجل أو امرأة تقول : المسألة هينة فلا تَتشدَّد . وتنسى أو تجهل أن الرسول ﷺ صوَّر الكافر أو المنافق بأنه يرى الجبل من معاصيه فما يُقَدِّرها إلا كذبابة يذبها (أى يطردها) عن وجهه بيديه ، والمؤمن يقترف الصغيرة يظنها كالجبل .

وفى كلمة مُجملة : يُحَذِّر رسول اللّه ﷺ من طمس الشخصية الاجتماعية للأمة المسلمة ، أو مسخ معالم الشخصية للمسلم فيقول فيما رواه البخارى :

---

(١) يراد بالنسمية استشعار أن هناك تعليقاً روحانياً ببعض المخلوقات والرسوم والتماثيل ، وفى كتابنا « الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى » مقال عن النسمية للمستشرق « هـ . جب » .

(٢) الطرر : كتابة بشكل جمالى فى مفتتح الكتب والرسائل .

« لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون (أى الأمم) قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع . فقيل : يارسول الله .. كفارس والروم ؟ فقال : ومَنْ الناس إلا أولئك » ؟

وفى حديث أبى سعيد الخُدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لتتبعن سُنَن من قَبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ خرب لتبعتموهم . قلنا : يارسول الله .. اليهود والنصارى ؟ قال : فمن غيرهم » ؟

وجُحر الضَبِّ كناية عن العادات المُخَرِّبة لسعادات الشعوب والأفراد .

وقد اختلف الجواب بحسب المقام . فحيث قيل : « فارس الروم » كان هناك قرينة تدل على أن الأمر يتعلق بنظم الحكم والسياسة والاجتماع ، وحيث قيل : « اليهود والنصارى » كان هناك قرينة تدل على تعلق الأمر بما هو من قَبيل الديانات والعبادات .

* * *

• المسلمة فى بيتها طاهية تحسن حياكة ثوبها وثياب بنيها .. بصيرة بتربية الأطفال ورعايتهم وتمريض المريض :

لها إلمام بطرف من علم النفس والإسعافات الأولية . ولها ثقافة واسعة فى التدبير المنزلى فضلاً عن الدين ، تُحيل الثياب الخَلقَة مفارش أو سجاجيد أو وسائد . أو تُحَوِّرها إلى ثياب للأطفال ، بل ترفو الثوب أو ترقعه . ثم تتصدق به أو تلبسه ، وفى هذا ترفيه عن الثياب الجديدة يمنحها حياة أطول . وفى هذا راحة لميزانية البيت إلى حدٍّ ما .

وقد كان معاوية بن أبى سفيان يخرج على قومه فى ثياب المُلك التى اعتاد أهل الشام أن يهابوا ذَويها . . فإن كان فى بيته خلعها ولبس المُرَقّع تنفيذاً للسنة . وتأديباً للنفس وكفاً لها عن الخيلاء . ودعماً لاقتصاد الأسرة التى تؤمن

بأن المال فى يدها إنما هو مال الله . وليس لها فيه إلا[ما يكفيها . وللفقراء فى أموالهم حقوق .

* * *

• ويختار كل من الزوجين صاحبه كفئاً :

حتى لا يستعلى واحد على الآخر . وذو العلم والدين كفء لمثله فمن دونه . وفى الحديث : « تخيَّروا لنُطفكم . وأنكحوا الأكفاء » ، وقال عمر ابن الخطاب : « لأمنعن فروج ذوى الأحساب إلا من الأكفاء » . وقال : « لا تُكْرِهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون » .

كما يجب أن يختار كل من الزوجين صاحبه على أساس تدينه الصادق . ففى الحديث الشريف : « تخيروا لنطفكم الحجُز الصالح فإن العِرْقَ دسَّاس » [1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، وجمالها ، ولحسبها ونسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

ورغب رجل فى الزواج من بَغِىٍّ (زانية مأجورة) فنهاه النبى ﷺ ونزلت الآية : ﴿ الزَّانِى لاَ يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ ، وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤمِنِينَ ﴾ [2] . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه . لأنكم إلاَّ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأيَامَى منكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [3] .

* * *

قلت لمحدثتى : أعرف شاباً جامعياً يعمل مهندساً على جانب كبير من الورع والتُقى والرجولة ، قاده سوء الحظ فى العهد الناصرى إلى السجن ، وكم فى

---

(١) العرق دساس : كناية عن أن قانون الوراثة حق .

(٢) النور : ٣

(٣) النور : ٣٢

السجن من مظلومين ، ثم خرج ولقيته لا يزال على تُقاه . يحفظ القرآن . وفى ختام يومه يذهب إلى إمام المسجد يتلو عليه ما حفظه ، وكأنى به يُريد أن يقول : هكذا يارب أختم يومى كما أفتتحه بأقرب القُربات فاقبلنى وتقبَّل منى . وكم أتمنى أن يكون زوجاً لابنتك المهندسة .

قالت : أنْعِم بورعه وتُقاه ، ولكننى أحب لابنتى إنساناً ليس له بطاقة فى سجلات المشبوهين لدى أجهزة الاستخبار والأمن العام ، فإن المشبوه عرضة لسحبه من فراشه فى أى لحظة . لا أُريد أن تعيش ابنتى مهددة بالترمل بين عَشية وضُحاها ، يسقط قلبها كلما طرق مخبر بابها ، أو حوَّم حول البيت يسأل عن زوجها .

قلت : لقد سقطت مراكز القُوى . وقذفت بهم يد العدالة إلى غيابات السجون التى قذفوا فيها - من قبل - بالأبرياء الأتقياء .

قالت : هذا حق .. لقد سقطت مراكز القُوَى كما تسقط أوراق الخريف . ولكن لم تسقط معهم بطاقات المشبوهين مهما حسنت نياتهم وثبتت استقامتهم .

قلت : وبهذا أصبح الناس فى اتجاهين : الاتجاه الإسلامى ، أو الاتجاه النفعى المتطرف ، فإن أنتِ لم تختارى من ذوى الاتجاه الإسلامى زوجاً لابنتك فإنك ستقعين - غالباً - فى براثن الاتجاه النفعى ، فى قبضة الأنانيين والمنحلين .. ولا ريب أن المتدين هو المأمون على مستقبل الفتاة ، أما غيره فمغامر مقامَر أنانى مستهتر .

فلماذا نخاف الزواج بتقِّى نَقِّى وإن دخل السجن مظلوماً ، لماذا نرهب الاقتران به ونخشى أن يعود الزمان القهقرى [1] فتدور عقارب الساعة نحو الخلف ليُصاب الزوج مرة أُخرى بسوء ؟ لماذا كل هذه الأوهام ؟!

ولماذا نخاف الظلام ؟ إن شمعة ضئيلة من الأمل يُبَدِّد نورها جحافل

(١) القهقرى : للخلف .

الظلام .. إن الظلام يُخيف الجبان فقط ، أما الشجاع فيكشف حقيقته بشجاعته ويعرف أنه ظاهرة لا تُخيف ، وما يُخيف من الظلام إنما هو مجرد وهم من الأوهام ، إن الذى يخاف الظلام لا يسير ولا يتقدم . بينما الذين لا يهابونه يتقدمون . إن اليأس يعنى اهتزاز اليقين برحمة الله ، وقهره للطاغين فى أجل مسمى عنده . ولهذا قال ربنا سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

أليس الجهاد فى سبيل الله ، والعمل لتجميع البشرية على دين الله وكتابه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، مهما اختلف أسلوب الجهاد ضبطاً لاختلاف العصور والبيئات ، ونوعية المعركة ، ونوعية المجاهد ذكورة وأنوثة ؟ فلماذا نُمجِّد المجاهدين ونُصفِّق لهم على الشاشة دون أن نقوم نحن بهذا الدور ؟

إن التجربة التى يمر بها المجاهدون ضرورة لتطوير المجتع وإصلاحه ، ولنشر الإسلام ودعم تعاليمه حتى تتغلغل فى خلايا كل المجتمع والأفراد . وعلى كل امرىء كِفْلٌ من ذلك ونصيب .

إن حدود التعرض لهذه التجارب الجهادية بَيَّنَهُ النبى الذى نؤمن به فقال : « لا تتمنوا لقاء العدو . ولكن إذا لقيتموهم فاثبتوا » . فالهرب من الواجب الذى يُعَرِّضنا لمحنةٍ وصِعابٍ إنما هو رذيلة تُدَمِّر الكيان الاجتماعى ، بل تُدَمِّرنا نحن .

لأنه إذا هرب كل إنسان فلم يُوجد من يقف سداً منيعاً فى وجه الاستبداد أو الحكم المنحرف ، فإن طوفان الدَمار سيُحيق بالديار وبالدِّيار (٢) معاً .

ألسنا نؤمن بالجهاد فريضة .. فلماذا نهرب من الفرائض .. ونُفرِّق بين حكم شرعى أو حكم شرعى آخر ، كأننا المعنيُّون بقول الله ، والعياذ بالله : ﴿ وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (٣) ، أو بقوله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

(١) يوسف : ٨٧
(٢) الديار : من يسكن الديار .
(٣) النور ٤٨ - ٤٩

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (١) .

قالت محدثتى : ألم يأمرنا الله بالحذر والحيطة ؟

قلت : بلى . ولكن الحيطة ليست تخلفاً وإحجاماً عن الواجب . ولكنها حسن التدبير والتصرف لأداء الواجب ، لا لتركه . كما هو تعبير القرآن : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ﴾ (٢) . أو كما يقول : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه ﴾ (٣) . أو كما يقول النبى ﷺ : « إعقلها وتوكل » . ومع هذا فلا يغنى حذر من قدر . وكما فى الحديث : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » .

والحيطة هنا أننا نختار للحياة الزوجية « مهندساً ومهندسة » ، ووظيفة المهندسة تكفى لإعاشة أسرة لو أن عاهل الأسرة عاقته الأقدار عن كسب قوته ، فحسبها أنها فى الحياة بسلاح المهنة تتقلد .

قالت ابنتها الجامعية : ولكن آثار أى سجن سياسى قد تُلاحق الزوجة فَتُبْعَد عن عملها الفنى ، وقد تُحرم ما تأخذه مقابل أعمال إضافية ومقابل طبيعة العمل .. هكذا كان ويكون مصير الموظفة المتزوجة بـ « مشبوه » من الطراز المتدين .. ولو تغاضينا عن الجانب المادى فإن هذا الإبعاد نفسه يُوَلِّد الشعور بأن الموظفة « منبوذة » فى وطنها غير موثوق بها . وتصور وطنياً يشعر بالغُربة فى بلده ؟

إن الإبعاد عن العمل الفنى حكم بالإعدام الاجتماعى على الموظف أو الموظفة . إنه العذاب الشديد الذى هدَّد به سليمان « الهدهد » إذ هدده بالنفى عن المعيشة فى البيئة التى نشأ فيها وقال : ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) .

---

(١) النساء : ١٥٠ - ١٥١ (٢) النساء : ٧١

(٣) آل عمران : ١٥٩ (٤) النمل : ٢١

قلت : هذا تصوير حق لماضٍ مرير لن يعود إن شاء اللّه ، فلا يتتابع فى السلطة جبارون قساة يسيرون على وتيرة واحدة . ولو جنح الأخير إلى القسوة فإنه يجرى عمليته مصحوبة بحقنة تخدير .

والتاريخ شاهد بأن اللّه رحيم بعباده ، وتأبى رحمته أن يترك شعباً يُعانى حُكماً قاسياً كحكم النازى أو الحكم الفاشى ، وتأبى رحمته عندما تنزل بالإنقاذ أن تسلمه لمن يكون على نفس الوتيرة : ﴿ سُنَّةَ اللّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (١) .

ولكن هل نسينا أن الإنسان أياً كان . جاء هذه الدنيا فى ساعة لم يسبق له أن حددها مع اللّه لنزوله إليها من بطن أمه . وهو خارج منها فى أجل مسمى عند اللّه ، وليس للمرء قدرة على إرجائه أو تعجله . أنسينا أن رزقنا وأجلنا بيد اللّه ، أنسينا أننا يجب أن نكون مع الواجب المفروض من اللّه نؤديه إسترضاءً له سبحانه برغبة وحب ؟ مهما كان فى أداء ذلك من صعاب ؟

إننا حين وجب علينا أن نُخطط لحياتنا لم نُكلَّف إلا ما علينا مراعاته كالدستور والقوانين ، ثم ما قد يأتى بعد ذلك من ظلم وبغى علينا ، بالرغم من حقيقة عدم خروجنا على القانون - يكون هو عين القضاء والقدر الذى لا راد له . نستعين عليه بالصبر ، ونرجو من اللّه فيه الأجر ، وقد قال المتنبى :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّــةٍ فَلِعِــلَّةٍ لاَ يَظْــلِمِ

ولهذا فإن براءة البرىء كثيراً ما تعجز عن حمايته عن عسف الظالم حتى ولو قدِّم له فروض الولاء التى قدَّمها الحَمَلُ للذئب الذى اتهمه بأنه عَكَّر الماء عليه .

أرأيت إلى يوسف عليه السلام كيف اتضحت براءته المادية ؟ ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ، ومع تأكيد البراءة وكذب الاتهام تأكيداً يتبين من أساليب التأكيد المتعددة (٣) فى قول

---

(١) الأحزاب : ٦٢ (٢) يوسف : ٢٨

(٣) أساليب التأكيد هى : تكرار لفظ « كيدكن » ، ثم وصف الكيد بأنه عظيم .

العزيز ، فإنه بدلاً من أن يُمسك الحذاء يلطم به خائنة كاذبة ، يَتَّجه إلى يوسف قائلاً : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ [1] . ثم يزج به فى السجن بضع سنين ، لأنه نظيف أبى مسايرة السلطة فى فسادها . وبعد لأى يجعل اللّه من السجين أمل الأمة المرجّى ، ومُنقذها الوحيد . وصاحب الكلمة المُطاعة .

سكتت الأم : فقلت : ألا تستشيرين ابنتك فقد ترضى هذا التقّى النقّى الكفء ؟ قالت الأم : لا . إنها لا خبرة لها ، فنحن عندما نرى الشخص المناسب نعطيها حق الاختيار .

وقلت فى نفسى : سبحانك يارب .. مهندسة يُقَيِّد المجتمع رأيها إلا فى إطار ما يرى . وأنت تعطى الفتاة حقها كاملاً فى الاختيار - دون قيد - إلا الكفاءة والاستقامة . اللّهم إن الحرية فى رحابك أوسع مدى .

فقد أخرج النسائى عن عائشة رضى اللّه عنها أن فتاة قالت للنبى ﷺ : « إن أبى زوّجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة !! فأرسل النبى ﷺ إلى أبيها فجاء ، فجعل الأمر إليها . فقالت : يارسول اللّه .. إنى قد أجزت ما صنع أبى ، لكن أردت أن أُعَلِّم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء » : أى ليس للأب أن يفرض على ابنته من يشاء .

وكأنى بالأم تقول : إننا لم نفرض على ابنتنا رجلاً بعينه ، بينما هى غافلة عن أنها - بحجبها أنواعاً من الناس - فرضت عليها نوعاً دون نوع ، وطائفة دون طائفة .

وقالت محدثتى : إن ابنتى لا تزال صغيرة لم تبلغ من العمر أكثر من ربع قرن .

سبحانك ربى .. هذا مجتمعنا التقدمى يكفر بالواقع المُحَسْ - يكفر بالفطرة ،

---

(١) يوسف : ٢٩

فعلى الفتاة أن تتجلد وتتدرب على الحرمان من حقها الطبيعى كأنثى لم تنحرف . أما شريعتك يارب فتحمى حاجة الأنثى الطبيعية : « يامعشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج .. » ، « تناكحوا تناسلوا تكثروا » .. - ومن الحِكَم المأثورة : « شراركم عُزّابكم » .

ربّاه ... فى شريعتك الإنقاذ . ولكننا كالفَراش .. يُحب أن يسقط على النار .. كى يحترق .. ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم .

* * *

• والبيت المسلم منارة للهداية :

وهذا لا يتأتى ممن لم يجعلوا وظيفتهم فى الحياة الهداية ولم يكونوا فى أنفسهم مهتدين ، وعندما قال اللّه تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ ﴾ [2] ، عَقَّبَ على هذا بقوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّه وَالْحِكْمَةِ ﴾ [3] وذِكْرُها يعنى مراعاة أحكامها . كما يعنى ذِكْرُها للناس بالبيان والنشر . ولا شك أن هذا يحتاج التدريب وتبادل التجارب بين أفراد الأسرة وأصدقائها المتدينين .

* * *

• والبيت المسلم مفتوح للتوجيه والتربية والجهاد وتقديم الخير للناس :

﴿ وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4] .

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج صحياً ومالياً .

(٢) الأحزاب : ٣٣ (٣) الأحزاب : ٣٤

(٤) يونس : ٨٧

وهذا ليس معناه الاستدانة من أجل القِرَى (إكرام الضيف بالطعام الجيد) وإن كان إكرام الضيف شريعة ، وذلك أن النبى ﷺ يقول : « لا تَكلفوا الضيف فتَبْغضُوه » والله يقول : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) . فهو بيت ليس منعزلاً عن المجتمع ، ولكنه النقطة التى تقع وسط الدائرة التى لا تزال تتسع على قدر ما يُيسر الله لهذا البيت المؤمن . حتى يتسع للناس جميعاً كبيت رسول الله ﷺ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

(١) البقرة : ٢٨٦

الدعوة إلى الإسلام

• بم تكون الدعوة ؟

والدعوة إلى الله ذات وسائل ، فهى بالكلمة مقروءة ومكتوبة ، وهى بتربية الفرد ، وهى بالحصار للفساد والشرك والمعصية حتى يستسلم كل ذلك لكتيبة الحق تماماً . أو تُثَلُّ القضبان الهاوية على رؤوس دعاة الإسلام ، وحتى يتيسر للفضيلة وتعاليم الإسلام الاستعلاء الواجب فوق الرذيلة والشرك الخفى والجلى .

وهذا لا يتأتى إلا بالعمل الفردى والجماعى فى أى صورة من صور التضامن والتعاون على البر والتقوى ، ويد الله مع الجماعة : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (١) .

وما مَزَّقَ جماعة المسلمين إلا الوقوف والتشبث بالرأى حول المسائل الخلافية فى الفقه والفروع ، وخير تجربة للإمام الشهيد جمعه المسلمين على الأصول العامة : « الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » . وكما قال : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

* * *

• سمت الداعى إلى الله :

يتحلى بالتواضع - والعلم - وحسن الخُلُق - والحرص على السنة جهد الطاقة - ولين الجانب ، عدم التخلى عن قول الحق واضحاً فى غير إزدراء للضالين ، على حد قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُم مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) - وذلك حتى لا يلجَّ (٣) المنحرفون فى طغيانهم يعمهون .. ومَنْ تكبر على الحق وأهله

---

(١) الحج : ٤٠ - ٤١ (٢) النساء : ٩٤

(٣) يلج : يمضى ويستمر .

فقد أذنَ للداعى أن يستعلى بالإسلام وكلماته ، فيواجهه بالنصيحة . وقد جعل اللّه لأهل الحق سلطاناً على فاعلى المنكر ، وسماهم « الآمرون بالمعروف » ومعروف فى اللغة أن الأمر لا يكون إلا من الأعلى « الناصح » للأدنى وهو « العاصى » .

لأن أذان سأعتَنِدٍ شعاره : « اللّه أكبر » وحداؤه [1] « سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله » .

ومن سمات الداعى إلى اللّه : حب الخير للناس كافة ، والبُعد عن مظاهر الترف وأسبابه ، والاستعداد بالتربية الخشنة - حسب الطاقة - للقاء عدو جبار ، عنيد ظاهر أو مستخْفٍ - وعدم التكالب على الدنيا ، وأن كسب القوت واجباً ، وكسب قِرَى الأضياف والفقراء واجباً علينا كذلك .

ومن سماته كذلك الذكر بالمأثور ، ومعايشة القرآن والسُّنة والسيرة العطرة ، والتخلى عن ردىء اللفظ ، وترك المُراء والجدل وما يبعثهما من خلافيات الفروع فى الفقه والعقيدة ، ففى الحديث الشريف : « أنا زعيم - أى كفيل - ببيت فى ربض [2] الجنة لمن ترك المُراء وإن كان مُحقاً ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسُن خُلُقه » .

ومن سمات الداعى عدم الاشتغال بتجريح الأفراد والهيئات ، فقد يقتنع المرء بما تدعو إليه ثم يتركك ، لأنك جرحت إنساناً تربطك به رابطة القُربى أو الصداقة أو المنفعة . وأنت تجهل ذلك ، فتكون بتجريحك هذا أوصدت باب رحمة اللّه فى وجه مسلم ، على أن التجريح كالغيبة لا يكون إلا لضرورة ، والضرورات تُقَدَّر بقدرها [3] .

والانشغال بعرض الإسلام فى صورة مجسمة قوية بعيدة عن الخلافات المذهبية

---

(١) حداء : أغنية وأنشودة ، والحداء للإبل حتى تنشط فى سيرها .

(٢) ربض - بكسر الباء : وسط ، وبالفتح كما هنا : سور المدينة .

(٣) يعنى : دون مبالغة وعلى قدر الحاجة .

واجب ، وتمحيص الحقائق العلمية والخلافات المذهبية يجب ألا يكون فى الصورة التى تُظهر التمزق الفكرى . ولكن بالصورة التى تُبدى سماحة الإسلام فى الرأى والتفكير ، وتجمع أوجه الخلاف فتُرُدّ إلى أصولها وغايتها حتى تبدو من منطلق واحد هو الوحى . وما لم يلتق مع نصوص الوحى فلن يكون مذهباً إسلامياً ..

وكل من دعا إلى الإسلام ومات فإلى رحمة اللّه ، ندعو له بالمغفرة .. ولا يصح أن ننبش قبور الموتى فقد أفْضَوْا إلى ما قدّموا . وقد رُوِىَ فى الحديث الشريف : « لا تحكموا لأحد بجنة ولا بنار حتى يكون اللّه هو الذى يقضى » .

* * *

ختام

هكذا نفهم الإسلام ونلتزم بنقل هذا المفهوم إلى غيرنا ، كما نلتزم بتطبيقه كلمة كلمة ، وإلا فقد خُنا اللّه ورسوله وقد ائْتُمِنَّا على دينه وعلى تبليغه .

فهل تؤمنين ياأختى المسلمة باللّه رباً حكيماً ، وقد أنزل بحكمته كتابه ، كما أرسل رسوله لتبليغ هدايته لنا لأنه يحبنا . ولهذا لم يتركنا نضيع فى الحياة فنحيا بلا دستور ، أو نتخبط على غير هُدى ؟

وتؤمنين بوجوب احترام كافة سفراء اللّه إلينا وهم رسله الأكرمون ، وأن اللّه أنزل كتباً وحفظها فى كتاب كريم نُقِلَ إلينا نقلا متواتراً مأموناً هو القرآن ؟

وهل تؤمنين بأنه لا يمكن التعرف على ما يُرضى ربنا إلا عن طريق كتابه ، فكانت قراءة القرآن باهتمام ، ودراسته بعناية - إلى جانب دراسة ما جاء به رسول اللّه ﷺ - عملاً تستوجبه دعواك الانتساب إلى الإسلام ؟

وهل تؤمنين بأن اللّه حكيم عليم ، ومحال أن يكون فى تشريعه نقص يحتاج تكملة من البشر ؟

وهل تؤمنين بأن الإسلام كثيراً ما نخالفه ، فلا يُحكم على الإسلام بخرافات وضلالات المنتسبين إليه حتى ولو انتصبوا فى مقام الفُتْيا والوعظ ؟

وهل آمنت بأن اللّه حرَّم التبرج ، لأن أضراره وخيمة على بِنْيَتِنَا الاجتماعية ، وقوانا العسكرية ، وقُدرتنا الإنتاجية ، ومستقبلنا القومى والسياسى ، وصحتنا البدنية والوجدانية والنفسية . وأن المتبرجة خائنة لوطنها . ودينها وأُسرتها بمنطق العلم ، كما هى خائنة بمنطق الدين والفضيلة . وأن ما شرعه اللّه لِفَضِّ الخلافات الزوجية أو الطلاق من الكمال بدرجة لم يبلغها تشريع ؟

هل آمنت بأنه لا معنى لدعوى الإسلام إلا بعد تعرف على أحكامه من مصدريه الرئيسيين : الكتاب والسُّنة ، وإلا بالالتزام لهما فى القول والفعل والقضاء والسياسة .. إلخ ؟

وآمنت بأن اللحم المكشوف فى الشارع تعافه النفوس الصحيحة ، ولا يجرى وراءه .. يَقْبَله أو يُقَبِّله إلاَّ الوضعاء والدُّون [1] . وأنك جميعك عَرَض مصون عن أعين ذئاب الطريق والمصنع والمدرسة والمشْفَى والمتجر فعليك أن تستريه ، ولا يظهر منك إلا ما هو ضرورى للحياة ؟

هل آمنت بأن الله حكيم فى تشريعه ، وحكيم فى كل عمل يُجريه فى الوجود ، فرضيت بقضاء الله وقَدَره من خير أو من شر .. فله سبحانه الحكمة التى قد تجل وتخفى عن عيوننا .. ﴿ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ ؟[2] .

وهل آمنت بحكمة الله فى الجزاء يوم القيامة ، وتصورت الموت والنشور منه إلى المحشر والحساب والميزان ثم الشفاعة ثم الفصل بين الخلق . إما إلى الجنة وإما إلى النار . والصالحون معهم الصالحون من أبنائهم وأصدقائهم الصالحين . أما الطالحون [3] و ﴿ الأخِلاَّءُ [4] يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ؟[5] .

هل آمنت بالكلمة الطيبة وعزمت على أن تقوليها ، وحفظت من كلمات الرسول ﷺ شيئاً تتمثلين به وتذكرينه ؟

وآمنت بأن من مظاهر الاستقلال الاعتزاز بلغتك وتقاليد وطنك ودينك فى التحية والشكر ، وتفصيل الملابس ، والأحذية - وفى نوع الصور التى يُزَيَّن بها البيت ، وفى كيفية تصفيف الشعر أو حلقه ، وفى التطيب وأن كل ما خالف شرائع الإسلام من التقاليد السائدة باطل يجب التمرد عليه ، لأن الخير فى الإسلام ومصلحتنا العليا فيما رسمه ؟

هل آمنت أن الأمن مطلب للفرد والشعب ، ولكنه مطلب ناقص ما لم يصحبه إيمان بوحدانية الله خالقاً ومُشَرِّعاً .. لا شريك له فى شىء من هذا ، وإلا فقد غمطنا جلال الألوهية حقها ؟

---

(١) الوضعاء والدون : السفلة .
(٢) الأنبياء : ٢٣
(٣) الطالح : نقيض الصالح .
(٤) الأخلاء : الأصدقاء .
(٥) الزخرف : ٦٧

هل آمنت بأن الرحمة والأُخوة هى قاعدة التعامل فى البيت والمجتمع حتى مع الحيوان كذلك ، وعرفت صور المرحمة التى يجب أن تبرز منك فى بيتك : كحسن استقبال زوجك فى أناقة ، وعند طبق الحلوى الأسبوعى ، وعند حُسن تدبير منزلك ؟

ثم عرفت صورة البيت المسلم : عارفاً باللّه - فيه مكتبة إسلامية ، يشمله الهدوء الشاعرى ، وتخطرُ فيه الدُعابة المهذبة تمشى فى أُفق نظيف منسق بين أبرار أتقياء مصلين ، كرماء لضيوفهم ، هادين لقومهم ، نافرين من كل شعارات المدنية المعاصرة الفاسدة ، لا تبرُّج ولا تخنُّث .. ولا جرياً وراء التقاليد الأجنبية حتى نلهث .. وأن المسلمة « ست بيت » [1] من الطراز الأول أولاً ؟

وهل عرفت أنك داعية إلى دينك بالكلمة ، والعمل الصالح ، وحصار الشر وتقبيحه ، وتزيين الإيمان وتمليحه ، وعرفت سمة الدعاة إلى اللّه . من تواضع مع علم ، ومن التزام للسُّنة والكتاب ، وحب للخير وإسهام فى مجالاته . وبُعْدٍ عن الجدل وعن تجريح الخصوم ، وانشغال بتجسيم الإسلام ومفاهيمه ، وبُعْدٍ عما فيه خلافات تُمَزِّق ، وإتجاه إلى ما فيه تجميع يُقَوِّى الصف ؟

أُختى المسلمة .. إنك بهذا الفهم المصحوب بالتطبيق تخرجين فى زيك الإسلامى وقد توُجت رأسك بالخمار الأبيض أو الوردى أو الذهبى أو غير ذلك .. تخرجين ملاكاً فى صورة عروس تُعلنين فى قوة : آمنت بربى واعتززتُ بتراثى ودينى ، وكفرتُ ببقايا الاستعمار وخناجره الرعناء المرتعشة التى أفسدت الحياة .. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ [2] . ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] .

* * *

(١) تعبير مصرى يُكنَّى به عن مهارة السيدة فى أعمال المنزل من طهى ونظافة وتنسيق وحسن تدبير .

(٢) الكهف : ١٠ (٣) التحريم : ٨